القصص

من أساطير الأقدمين

القريةُ الظالمة

للأستاذ دريني خشبة

ذهبا يدلجان فى هدأة الليل ، ويضربان فى ظلام الوادى ، ويتحدث أحدهما إلى الآخر حديث الآلهة ؛ وكلما نال منهما الجهد ، جلسا يتسامران ، أو ينصت الشيخ ذو اللحية البيضاء المرتعشة ، إلى السحر الذى تنفثه قيثارة الفتى اليافع

ـ «حسبك يابنى ، فلقد كادت موسيقاك تبطل عمل العاصفة»

ـ « وفيم تريد أن تستيقظ العاصفة يا أبتاه ؟ »

ـ « أريد أن تستيقظ العاصفة لأريك عجباً هذه الليلة من طباع الناس . أترى إلى هذه القرية النائمة فى أكناف الجبل ؟ »

ـ « أين يا أبى ؟ »

ـ « أنظر جيداً »

ـ « الظلام دامس ، ويكاد الحلك يختلط بسواد الصخر فلا أرى شيئاً . . . »

ـ « أنظر فى الجهة التى تشير إليها يدى »

وأشار الشيخ بيده فانبعثت منها شعاعة من نور شديد ، كشفت القرية للفتى

ـ « آه . هذه هى . عمش خفيف أصابنى الليلة يا أبتاه ! »

وكان الفتى حلو الدعابة رقيق النكتة ، ثرثاراً ، فقال له الشيخ يحذره :

ـ « إذا كنا عند القرية فلا تبدأ حديثاً ، ولا تخاطبنى إلا أن أخاطبك ؛ وإياك أن تأتى بإشارة تسقط هيبتنا فى أعين القوم ، فانهم لؤماء سفهاء ، وقد تفسد علينا ثرثرتك ما جئنا من أجله الليلةَ إلى هذه القرية . . . »

« نسيتُ القفل يا أبتاه ! ! »

ـ « أى قفل ؟ »

ـ « الذى أقفل به فمى فما يتحرك ببنت شفة »

ـ « ياخبيث . . : أصمت »

* * *

وأشار الشيخ بيده إلى السماء فاربدّت وتكلحت وأورى برقها وقرقع رعدها ، وانصبت ميازيبها بماء منهمر . وانطلقا إلى القرية . . .

ووقفا عند منزل فخم ضخم ذى شرفات ، فقال الشيخ :

ـ « تشبث يا بنىّ بأحياد الحائط حتى تكون عند النافذة ، فانظر ماذا ترى »

وفعل الفتى ، ونزل ، وقال للشيخ :

ـ « أبتاه ! نسوة عاريات يرقصن ، وندامى وخمر ، و . . . موسيقى . . . وفتيان وفتيات . . . و . . . »

ـ « وماذا يا صغيرى العزيز ؟ »

ـ « ودعارة وعهر يا أبتاه . . . . لماذا جئنا هنا ؟ لماذا جئنا هنا ؟ . . . »

ـ « قلت لك جئنا لأريك عجباً هذه الليلة من طباع الناس ، هلم إلى باب هذا المنزل »

وطرقا الباب ، فبرز لهما فتىً غرانيق وقال : « ماذا ؟ شحاذان قذران ! » فقال الشيخ :

ـ « على رسلك يا بنى . أنا رجل شيخ غريب ، وهذا ابنى ، وقد دهمتنا العاصفة فلجأنا إليكم نرجو أن تضمنا غرفة صغيرة إلى الصباح ، ونطمع أن تتبلغ لديكم بلقمات . . . »

— « غرفة ولقمات ؟ هاها . . . اذهبا اذهبا . . . لصوص ! هذه حيل قطاع الطريق والمداحين بَلَوْناها من قبل »

ثم قذف بمصراع الباب فى وجهيهما . فنظر الشيخ إلى ولده وقال : « أرأيت ؟ سر إلى هذا البيت القريب »

وقال لابنه : « هلم إلى النافذة فانظر . . . »

وتسلق الفتى وحملق قليلاً ، ثم قفز وقال : « أبتاه ! أناس يخزنون الذهب فى خوابٍ عظيمة ويختمون عليها بالرصاص المذاب ؛ من أين لهم هذا الذهب كله يا أبى ؟ .. » فقال الشيخ : « هم لصوص يا بنى ، وإن كانوا لا يقطعون طريقاً ، ولا يسطون على دار ؛ ولكنهم يمتصون دم الفقير والمثر ، ويصهرونه ذهباً ويكنزونه هكذا ؟ ! إنهم أصحاب هذه الضياع والبساتين ! هلم إلى بابهم ... ... »

وطرقا الباب ، وسألا طعاماً ، ومبيت ليلة ، فقالت لهم العجوز صاحبة الدار :

— « إن هذا العام عام شدة ، ولم تبق لنا المجاعة على زرع ولا ضرع ، ماذا عندنا لنعطيكم ؟ هيكل زيوس قريب من هنا ناما فيه ، وكهنته أسخياء كرماء ، وعندهم فى كل آونة خمر ... سيطعمونكما ويسقونكما ؛ وربما قدموا لكل منكما غادة ! فهم فساق عرابيد ... إقصدا إليهم ... اذهبا ... »

وقذفت بالباب فى وجهيهما ... ...

قال الشيخ : « أرأيت يا بنى ؟ » فقال الفتى مداعباً : « نحن نستحق أضعاف هذا الهوان ! ما لنا وللناس ؟ ! » ؛ فقطب الرجل جبينه وقال : « ما لنا وللناس ؟ اذن ما نحن فى هذه الدنيا يا بنى ؟ ولكن ليس الآن ما أعددت لك من عبرة هذه الليلة ؛ سر بنا الى ذلك القصر العتيق »

فلما كانا عنده ، تطلع الفتى فرأى صخباً كثيراً ما يزال يتمشى ، والموائد حافلة بالأشربات والأشواء ، وبكل ما لذ وطاب . والندامى البيض كالنجوم رافلات ، ورافلون ، فى وشى وأفواف . وكأن الفتى استطير من العجب ، فقال للشيخ : « كل الناس يا أبتاه هانئون هذه الليلة المقرورة إلا نحن ! ! الجميع يأخذ فى نشوة ولذة ونحن نضرب فى وحل ونَتَنَشَّقُ من غيظ ؟ ! »

قال أبوه : « ألم أقل لك ألا تبدأ حديثاً حتى أبدأك ؟ هلم إلى الباب » وقرعا الباب فبرز لهما شابٌ مفتول العضل كأنه هرقل . فلما سألاه حاجتهما ، قادهما إلى البهو الواسع حيث القوم فيما هم فيه من متاع

قال الشاب المفتول : « اليكم أيها الاخوان لصين من لصوص الدجاج عاثا كثيراً فى قريتنا هذه ، ولولا طول الحذر ما ذقتم الليلة رجل دجاجة . . . . . . إنهما يطلبان مبيتاً وعشاءً ، ولا أدرى لِمَ لَمْ يقصدا الى هيكل الأب زيوس حيث المبيت الوثير والعشاء الكثير ؟ ! وحيث أشياء أخرى . . . . . . »

وقهقه السمار وتكبكبوا حول الغريبين ، ثم أخذوا معهما فى ألوان غير محتشمة من المزاح الثقيل . هذا ينتف شعرات من ذقن الشيخ ، وذلك يرفع ذيل الفتى مما وراءه ، وهذه تعانق الشيخ وتقبّله وتقدم له كأساً من الخمر ، وتلك تركب الفتى « زَقَفُونَه ! »[1] . . . . . .

ولما فاضت الكأس بالشيخ والفتى ، نظر أحدهما إلى الآخر نظرات ، ثم غابا عن أنظار الجماعة ، كأنما تحولا الى هواء . . . ؟ ! فَشُدِهِ القوم ، وأوجسوا خيفة

* * *

لم يبرح الرجل وابنه يتنقلان فى شوارع القرية الوحلة من بيت إلى بيت ، وكلما طلبا المبيت والعشاء استهزئ بهما وطردا شر طردة وأخسها ، حتى ضجر الفتى وبرم بحكمة والده فى هذه الرحلة المضنية فى ذلك البلد البخيل . . . فقال له : « اذهب أنت فسأنتظرك على هذه الصخرة الناتئة فى حَيْد الجبل ، وسأتسلى بموسيقاى حتى تعود » فقال الشيخ : « وحكمتى التى أردتك أن تراها بعينيك ؟ هلم ، هلم . . . أترى إلى ذلك الكوخ ؟ لندلج نحوه وليكن آخر مطافنا »

وكانت فى الكوخ كُوة صغيرة ينبثق منها نور خافت . فلما نظر الفتى تمتم يقول : « أبتاه ! امرأة متهدمة وشيخ محطم ! يا لبؤس الحياة ، ويا لشظف العيش ! لماذا أثرت العاصفة يا أبى ؟ إن الماء ينز عليهما ويبلل فراشهما . . . »

(١) لم نعرف غير هذه اللفظة النابية للتعبير عن الركوب على ظهر الانسان مع لف الساقين والذراعين حول الوسط والعنق وقد استعملها أبو العلاء فى رسالة الغفران فنقلناها عنه

ـ « سترى أن هذا الكوخ هو وحده الذى يبق »

ـ « ما ذا تعنى يا أبى ؟ هل تهدم القرية ؟ »

ـ « صه ! هلم فاطرق باب الكوخ . »

***

ـ « قم يا فيلمون . إن بالباب طارقاً »

ـ « نامى يا بوسيز ! إنه البَرَد ترجم به العاصفة »

ـ « لا . ليس برداً . إسمع ! أناس ينادون . قد تكون بهم حاجة »

ونهض فيلمون متهالكاً على نفسه ففتح الباب . وما كاد الشيخ يذكر حاجته حتى هش صاحب الكوخ وبش ، وتاق الرجل وابنه أحسن لقاء

ـ « مرحباً مرحباً ... أنتما فى حاجة إلى دفء . بوسيز . انهضى يا امرأة فأوقدى ناراً . أنا أعرف أن الحطب مبلل ، ولكن حاولى ... مرحباً يا كرام معذرة ، فنحن نستعين على الحياة هنا بالصبر . بوسيز ، هاتى قربة النبيذ أولاً . ليس فيها الاصبابة ! لا بأس ! سيبارك زيوس للضيفين فيها ... هاتى شيئاً من المشمش الجاف يا امرأة ! ... »

وتأتى بوسيز بقربة النبيذ ، وما يكون فيها إلا ثمالة ، فيتناولها الشيخ ذو اللحية البيضاء ، فيتمتم فيها بكلمات فتمتلئ نبيذاً من خير ما عصر باخوس ؛ وبعد أن يروى منها هو وابنه ، يدفع بها إلى صاحب الكوخ ممتلئة كأن لم يمتد إليها فم ! فيتولى الرجل دهش عظيم ويقول : « بحق زيوس إلا ما أخبرتنى أيها الصفىّ الصالح من أنت ؟ » فيقول الشيخ : « أنا أيها العزيز رجل نقلة وأسفار وهذا ابنى الموسيقى البارع . أتطرب للموسيقى ؟ »

ويهتز الرجل ، ويوقع الفتى على قيثارته لحناً كأنه لسان العاصفة بما فيها من سنابرق وهزيم رعد ومكاء ريح وتنقير مطر ، ثم هو مع ذلك لحن مشرق متألق يأسر اللب ولا يستأذن على القلب ... وطرب فيلمون ، ورقصت جوانح بوسيز ، وأحضرت طبقاً به قليل من المشمش الجاف فقدمته للفتى ، ناسية أن تقدمه الى الشيخ ، وهذا من أثر الموسيقى على أعصابها ، فقدمه هذا الى أبيه فى أدب واحترام .. وما كادت اليد البيضاء الناعمة تمس الفاكهة حتى عادت إليها النضارة ، وتأرجت عنها أنفاس الحديقة ، وتضاعفت فى الطبق حتى ملأته . فأكل الشيخ ، وأكل ابنه ، وأكل فيلمون وزوجه ، وهما لا يصدقان ما يريان !

وظلاَّ يقدمان للضيفين كل ما استطاعاه من خبز وأدم ، فكان القليل يزداد والمشفوف يتضاعف . وكانت لديهما إوزة عجفاء حاولا أن يجريا عليها التجربة فهما بذبحها ليصنعا منها شواء يقدمانه للضيفين ، ليريا ماذا يكون من أمرها . ولكن الأوزة فزعت فزعاً شديداً ، وانطلقت فى ناحية الشيخ تستجير به كأنها تكلمه . فابتسم ، وربت على ريشها الناعم النظيف ، وأجارها من سكين فيلمون

وكان نسيم السَّحر قد أخذ يهب فى الأفق الشرق ، فقال الشيخ :

ـ « أيها العزيز فيلمون . أيتها التقية الكريمة بوسيز ، من إلهكما ؟ »

ـ « إلهنا زيوس تبارك فى علياء الأولمب ؟ »

ـ « أو يسركما أن يكون معكما الآن ؟ »

ـ « معنا ؟ هو دائماً معنا ! »

ـ « أجل . هو دائماً مع عباده المخلصين . ولكن ، أيسركما أن تكونا الآن فى حضرته يحدثكما وتحدثانه ؟ »

فيصيح فيلمون :

ـ « أنت هو زيوس . تقدّست . تقدست »

ويسجد الرجل وزوجه ، وما تفتأ تأخذهما رعدة شديدة

ـ « أجل . أنا زيوس . أتيت أبتلى هذه القرية . وهذا ولدى هرمز . انهضا . والآن . ستزلزل الأرض زلزالها فلا تنزعجا ... »

ووقف زيوس ، وأشار بيده إشارة خفيفة إلى الشرق ، ثم الى الغرب ، ثم إلى الجنوب ، ثم إلى الشمال ؛ ؛ ثم نظر إلى فوق وتمتم بكلمات ، وجلس

وما كاد يفعل حتى رقصت الأرض ، وسمع كأن الجبل القريب يندك ، وكأن الصواعق تنقض على المنازل فتقوضها ، وتنقلب القرية إلى جحيم ملتهب ، وكلما أطل فيلمون أو أطلت امرأته من الكوة سرت فيهما رجفة أروع من رجفة الزلزال ، فيطمئنهما زيوس

ـ « الكوخ يا إلهى ! أنا رجل فقير ! »

ـ « مال كوخك يافيلمون ! »

ـ « إذا انهدم عشت فى العراء ! »

ـ « لا عليك ! فلن تقوض الزلازل إلا قصور العتاة ؟ »

وأشرقت الشمس ، فنهض الآله الأكبر ، ونهض الجميع معه . وما كاد فيلمون يفتح باب كوخه الحقير حتى أخذه العجب وارتد على عقبيه مذعورا :

ـ « مولاى ! لمن هذا القصر المشيد ؟ »

ـ « هو لك يا فيلمون ، أمرت الآلهة فبنى لك فى ساعة السحر جزاء كرمكما . هلما نشهد غرفاته »

وانطلق الجميع يتنقلون فى غرفات القصر وردهاته ، وكلما مر فيلمون وزوجه بتمثال إله سجدا له وأخبتا ، حتى إذا كانوا فى أكبر ردهات القصر ، وقف زيوس وقال : «فيلمون ! هذا هيكلى ! وقد جعلتك كاهنى الأكبر ، فتمن الآن علىّ ، فسأجيبك إلى كل ما تطلب »

فتبسم فيلمون وقال : « مولاى ! الشباب يا مولاى ! ليعد الشباب إلىّ وإلى زوجى بوسيز ، ولنعش طويلا ، فاذا جاء وعدك فلنمت فى يوم واحد فى ساعة واحدة ! » وسجد يقبل الأرض بين قدمى الآله الأكبر !

فقال زيوس : « انهض يا فيلمون فطلبك مجاب ، وستعيشان راغدين ! »

***

وسلم الآلهان وغابا من الأنظار ، وخرج فيلمون وزوجه ليريا إلى القرية ، فلم يشهدا شيئاً غير بحيرة تمج أمواجها ، وجزيرة كبيرة خضراء فى وسطها قصرها المنيف ! فآمنا بزيوس وسبَّحا له !

وعاشا طويلا ، وماتا فى يوم واحد وساعة واحدة ، ونبتت دوحتان عظيمتان من أشجار السرو أمام باب القصر تخلدان ذكراها فى العصور ...

دريني خشبة

وزارة المعارف العمومية

إعلان

تعلن الوزارة عن حاجتها لشغل الوظائف الموضحة فيما يلى :

١ — مدرسون من خريجى مدرسة الزراعة العليا لتدريس مادتى الزراعة وفلاحة البساتين من الدرجة السادسة الفنية على الأقل

٢ — مدرسون من خريجى مدرسة الطب البيطرى من الدرجة السادسة الفنية

٣ — مدرسون من خريجى مدرسة الهندسة الملكية (القسم المدنى) من الدرجة السادسة الفنية

٤ — ملاحظو حقل من خريجى المدارس الزراعية المتوسطة من الدرجة الثامنة على الأقل

وسيعين المرشحون لهذه الوظائف بالمدارس الزراعية المتوسطة فى العام الدراسى سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٦ ، كما سيراعى فى انتخابهم الكفاية الفنية ثم الخبرة العملية الممتازة فيمن يرشحون أنفسهم للتعيين فى الوظائف الموضحة فى (١) ، (٢) ، (٣) ، (٤)

فعلى الراغبين فى التعيين لاحدى الوظائف المذكورة أن يقدموا طلباتهم على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح بعنوان حضرة صاحب العزة وكيل وزارة المعارف بالقاهرة بحيث تصل هذه الطلبات إلى الوزارة فى ميعاد لا يتجاوز يوم ١٤ أغسطس سنة ١٩٣٥ ، وإذا كان الطالب موظفاً باحدى مصالح الحكومة فعليه أن يقدم طلبه بالطريق القانونى

المخطوطات العربية

المخطوطات العربية القديمة لها مكانتها العليا ولا يقدرها قدرها إلا غواتها . لهذا جمع منها الكثير صاحب مكتبة العرب الشهيرة بالفجالة وعرضها للبيع بأثمان معتدلة كما أنه مستعد لشراء أمثالها من الكتب وغيرها والموجود من المخطوطات فى الأدب والتاريخ والشعر والروحانى والصنعة الكريمة والطب وكتب إسلامية مختلفة فى كل مذهب وغيرها من كل الفنون وجميع المختارات مع صاحب المكتبة الشيخ يوسف البستانى بشارع الفجالة نمرة ٤٧ بمصر